

إعلام المسلم بخطر الفتوى والقول على الله بغير علم

إعداد

رضوان بن ياسين بن أحمد الشهاب

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن غانم السدلان
أستاذ الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

ح) رضوان ياسين الشهاب ، ١٤٣٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشهاب، رضوان ياسين
إعلام المسلم بخطر الفتوى والقول على الله بغير علم - رضوان
ياسين الشهاب - الرياض ١٤٣٣ هـ
٦٣ ص ١٢×١٧ سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٩٥٤٥-٢
١- الفتوى (أصول فقه) أ. العنوان
ديوي ٢٥١.١٥ ١٤٣٣/٢٦٧٨

رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٦٧٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٩٥٤٥-٢

تقديم الشيخ الدكتور صالح بن غانم السدلان حفظه الله

الرقم: بوير
التاريخ: ٤/٨/ ١٤٢٧ هـ
الموافق: ٣/٣/ ٢٠٠٩ م
المرفقات:

بسم الله الرحمن الرحيم

أ.د. صالح بن غانم السدلان
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة
الدراسات العليا - قسم اللغة

الموضوع: تـمـريـض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد :

اطلعت على هذا الكتيب والموسوم بـ (إعلام المسلم بخطر الفتوى
والقول على الله بغير علم) من إعداد رضون بن ياسين بن أحمد
الشهاب (المحفوظ لدينا نسخة منه) فالفيتة كتيباً جيداً أعتمد ناقله
على الكتاب والسنة وصدق النقل ، وجزل العبارة، وألحق به مباحث
ومسائل وفوائد حول الموضوع فجزاها الله خيراً ، وأكثر من أمثاله.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال ذلك وأمله الفقير الفقير به المنان

أ.د. صالح بن غانم السدلان

ص.ب. ٧٠٥٥ الرياض ١٢٤٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم،
والصلاة والسلام على النبي الأكرم، - المخصوص بجوامع
الكلم وبدائع الحكم وودائع العلم والحلم والكرم صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم^(١) أما بعد:
فهذه صيحة نذير، ووعد ووعيد، وتنبهات وأحكام،
حول أمرٍ عظيم، وشرٍّ مستطير، يورد صاحبه المهالك،
ويعقبه إلى أسوء العواقب، إنه الجرأة على الله من غير علم،
والتقول على الله من غير بصيرة، والخوض في أعماق بحور
العلم من غير معرفة بفنونه، والأصل في التحذير من الجرأة
والقول على الله بغير علم هو قول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) بين الشرطتين اقتباس من كتاب القواعد ج ١ / ص ٣

ولانتشار هذه الآفة في المجتمع، والتجرؤ على الفتيا،
والتعلم، اخترت هذا البحث عسى الله أن ينفع به كاتبه وقارئه،
وجعلته على مباحث موجزة، وهي على سبيل الإيجاز لا على
سبيل الحصر، وقد قسمته على الآتي:

- المبحث الأول: تعريف الفتوى، وأهميتها.
- المبحث الثاني: أصول الفتوى.
- المبحث الثالث: شروط الفتوى.
- المبحث الرابع: الفتوى بالتقليد.
- المبحث الخامس: تحريم الإفتاء في دين الله والقول على الله بغير علم.
- المبحث السادس: من آثار القول على الله بغير علم على المجتمع.
- المبحث السابع: من طرق علاج هذه الآفة.
- المبحث الثامن: نماذج من أعلام العصر من ذوي الفُتيا والتُّقى والحِجاء.
- وقد حذر العلماء قديماً وحديثاً عن الجرأة على الله، والقول

عليه بغير علم، وكتبت فيها البحوث والمؤلفات فلم يترك الأول للآخر شيء، وإنما هو من باب الترتيب، وتغيير الصياغة، وإضافة ما يمكن إضافته بأسلوب عصري، ورحم الله شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) فهو كتاب عزّ نظيره في هذا الباب، فرحمه الله رحمة واسعة، كما أسأله سبحانه أن ينفعني في هذا البحث، وإخواني المسلمين وأن يعذني من نزغات الشيطان، وفتنة القول والعمل.

وكتبه/رضوان بن ياسين الشهابي

ص.ب (١٨٥٧٧) الرياض (١١٤٢٥)

Alshehabe3@maktoob.com
alshehabe2@hotmail.com

المبحث الأول: تعريف الفتوى، وأهميتها

اعلم أيها الأخ المسلم أن الفتوى، مرتقى صعب، تحاشاه كبار أصحاب محمد ﷺ فقد كانوا يتدافعون الفتيا، لأنها توقيع عن رب العالمين، وفهم لنصوص الوحيين، وتشريع لأحكام الدين؛ فليحذر الإنسان من ارتقائها، وقد «هاب الفتيا من هابها من أكابر العلماء العاملين وأفاضل السالفين والخالفين وكان أحدهم لا تمنعه شهرته بالأمانة واضطلاعه بمعرفة المعضلات في اعتقاد من يسأله من العامة من أن يدافع بالجواب أو يقول لا أدري أو يؤخر الجواب إلى حين يدري»^(١).

وتعريف الفتوى: هي: الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية أو القانونية^(٢) ويقال أفتى الرجل في المسألة واستفتيته فأفتاني إفتاء وفتيا وفتوى اسمان من أفتى توضعان موضع

(١) أدب المفتي والمستفتي ج ١/ ص ٧٤ .

(٢) المعجم الوسيط ج ٢/ ص ٦٧٣ .

الإفتاء، ويقال أفنيت فلانا في رؤيا رآها إذا عبرتها له وأفتيته في مسأله إذا أجبتة عنها .

وفي هذا المعنى ما رواه ابن أبي شيبه، قال حدثنا وكيع عن الأوزاعي عن واصل بن أبي جميل عن مجاهد قال: «اشترك أربعة رهط على عهد رسول الله ﷺ في زرع، فقال أحدهم: قبلي الأرض وقال الآخر: قبلي الفدان وقال الآخر: قبلي البذر، وقال الآخر: علي العمل فلما استحصد الزرع تقاتوا فيه إلى النبي ﷺ فجعل الزرع لصاحب البذر، وألغى صاحب الأرض، وجعل لصاحب الفدان شيئاً معلوماً، وجعل لصاحب العمل درهما كل يوم»^(١).

قال الطرماح:

أنخ بفناء أشدق من عدي ومن جرم وهم أهل التفاتي
أي التحاكم وأصل الإفتاء والفتيا تبين المشكل من الأحكام
أصله من الفتى وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي فكأنه

(١) مصنف ابن أبي شيبه ٤ / ٥٠٤

يقوي ما أشكل بيانه فيشب ويصير فتيا قويا وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً^(١).

وقال العيني رحمه الله: الفتوى هي الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم^(٢).

فالفتوى لها أهميتها، وخطورتها، ومن خطورتها ما رواه الدارمي في سننه قال: أخبرنا إبراهيم بن موسى ثنا بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ «أجر أكم على الفتيا أجر أكم على النار»^(٣).

(١) تهذيب اللغة ج ١٤ / ص ٢٣٤.

(٢) عمدة القاري ج ٢ / ص ١٣٢.

(٣) سنن الدارمي ج ١ / ص ٦٩ قال الإمام الألباني رحمه الله: إسناد ضعيف لإعضاله، فإن عبيد الله هذا من أتباع التابعين، مات سنة ١٣٦، فبينه وبين النبي ﷺ واسطتان أو أكثر (السلسلة الضعيفة - رقم الحديث ١٨١٤ - المجلد الرابع).

المبحث الثاني: أصول الفتوى

لكل أمرٍ أصوله، ولكل فنٍّ قواعده، ومن أعظم الأمور الفتيا بين الناس فلا بد لها من أصول.

ومن أعظم الأصول التي يرجع إليها جميع أمور الشريعة، كتاب الله وسنة رسوله فهما المعين الصافي، والوحي الرباني، وأعلم الناس بهما هما الصحابة والتابعون، فأحسن الفهم فهمهم، وخير الهدي ما كان عليه النبي ﷺ فمدار الفتوى على الوحيين ثم الإجماع والقياس «فإن المفتي إذا سئل عن حادثة يطلب حكمها في الكتاب ثم في السنة ثم في الإجماع ثم في القياس»^(١).

فيتبين مما سبق أن من ليس لديه باعٌ من العلوم الشرعية، لا ينبغي أن يخوض فيها ليس من شأنه، وليس من تخصصه، فمن تكلم في غير منه أتى بالعجائب وأكثر من التناقضات وسفاسف الأمور.

(١) البحر المحيط في أصول الفقه ج ٤ / ص ٣٢٧

ومن العجب، ما تراه في هذه الأزمنة المتأخرة من كثرة المتقولين على الله بغير علم، فيتجرؤون في الفتيا، ويخوضون في أمور لو عرضت على الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لجمع لها أهل بدر وكبار الصحابة، فكم من صغار ناهم الصغار، بما جنوه على الأمة بالتقول على الله بغير علم فالحذر الحذر من هذه الآفة، فإن ضررها عام، وشرها كبير؛ ولذا رأى كثير من العلماء الأتقياء الحجر على المفتي الماجن الذي يتلاعب بالنصوص ويحتال على الأحكام الشرعية الواضحة الجليلة، ويتتبع شواذ المسائل، ويزداد به البلاء عبر الفضائيات، وعبر أثير القنوات، تراه مثيراً للشبهات، مخالفاً للآيات، مغضباً لرب البريات.. فمن كانت هذه صفته ينبغي الحجر عليه، وعدم تمكينه للفتوى أو الإلقاء لأنه يفسد على الناس دينهم.

رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْرِي الْحَجْرَ إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ الْمُفْتِيِّ الْمَاجِنِ وَالطَّبِيبِ الْجَاهِلِ وَالْمُكَارِي الْمُفْلِسِ^(١).

فَالْمُفْتِيَّ الْمَاجِنَ يُفْسِدُ أَدْيَانَ الْمُسْلِمِينَ وَالطَّبِيبَ الْجَاهِلَ

(١) بدائع الصنائع ٧ / ١٦٩ .

يُفْسِدُ أَبْدَانَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُكَارِي الْمُفْلِسَ يُفْسِدُ أَمْوَالَ النَّاسِ فِي الْمَفَازَةِ فَمَنْعَ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ^(١).

وما أكثرهم في هذه الأزمنة المتأخرة الذين تصدروا قبل الصدارة، وصارت مشاربهم بعيدة عن مشارب العلماء الربانيين، وتأصيلاتهم بعيدة عن تأصيلات سلف الأمة الأخيار، فنسأل الله السلامة من فتن الشبهات والشهوات. فعلم مما سبق أن أصول الفتوى ما يلي:

١- كتاب الله العزيز فهو الأصل الأول الذي من تمسك به هدي ومن ابتعد عنه ضلَّ وغوى وتردَّى في مهاوي الردى، فهو التبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وهو الفرقان الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

(١) بتصرف من كتاب بدائع الصنائع ٧/ ١٦٩ .

٢- سنة خير المرسلين وإمام الموحدين فهي منهاج السالكين والأصل الثاني من أصول شريعة رب العالمين فمن حاد عنها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وسلك مسلك المنافقين.

٣-الأصل الثالث من الأصول إجماع العلماء من كل عصر على مسألة أو أمر؛ فالإجماع هو: اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ^(١) فلا عبرة بإجماع غيرهم، ولا عبرة بالمتعالمين المخالفين لأصول الدين في أفعالهم وأقوالهم، ولست هنا بصدد ذكر شذوذاتهم المنشورة، وأفعالهم المشهورة عبر قنواتهم المفضوحة.

قال العلامة أبو الطيب صديق القنوجي نقلاً عن الشوكاني: «وأن المعترف في الإجماع إنما هم المجتهدون»^(٢) كما أنه لا اعتبار للكيانات المنبثقة من الجماعات الحزبية في عالمنا المعاصر والتي هي مزيج أفكار مخالفة لفعل الأبرار؛ إذ أن إحدى هذه الاتحادات يتزعمها من ليس له باتباع الحجة والدليل قنطار،

(١) روضة الناظر / ١ / ١٣٠ .

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة / ١ / ١٤٨ .

بل تجاوز الحد بالترحم على من تناول على الجبار سبحانه وتعالى وقال: إن الله ثالث ثلاثة!! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٤- الأصل الرابع من الأصول هو القياس على ما قال به أكثر أهل العلم، ويؤخذ بهذا الأصل ما لم يخالف الأصول الشرعية السابقة وهو بالنظر إلى اصطلاح الفقهاء: ردُّ فرع إلى أصل بعلة جامعة^(١)، وهو على أنواع: قياس جلي وقياس خفي ولكلٍّ منهما أضرِب، ومن تلك الأضرِب: ما عُرف معناه بظاهر النص بغير استلال، وذلك مثل قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. فدل تحريم التأفيف ببديهة النص على تحريم الضرب والشتيم^(٢).

(١) انظر: تقويم النظر / ١ / ٧٢ .

(٢) انظر: الحاوي الكبير / ٢٦ / ١٤٤ .

المبحث الثالث : شروط الفتوى

إعلم أيها المسلم سدد الله خطاي وخطاك أن الفتوى توقيع عن رب العالمين، فلا يخوض غمارها إلا الراسخين من العالمين، وأما واقع الأمة اليوم فقد تصدّر المتعلمين، ونطق الجاهلين المخالفين، فتجد من يخوض في أمور الشريعة ومسائل الفتوى وهو من أجهل الجاهلين.

وقد رأينا من الوعاظ من يقتحم غمار الفتوى، ويتجرأ على الفتوى فيضِل ويُضِل عياداً بالله، وقد قال بن الجوزي في أمثال هؤلاء: قد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتي لأنه لم يجمع شروط الفتوى؛ فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم في الفتوى بالواقعات، وبالإسناد عن إسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل، وقد قدم أحمد بن حرب من مكة، فقال لي أحمد بن حنبل: من هذا الخراساني الذي قد قدم. قلت: من زهده كذا وكذا، ومن ورعه كذا وكذا، فقال لا ينبغي لمن يدعي ما

يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا^(١).

فسبحان الله العظيم، تأمل كلام ابن الجوزي آنفاً وهو يقول: (لو رأوا تحبيط المتزهدين اليوم في الفتوى بالواقعات) فكأنه يحكي واقعنا المعاصر، وما حصل فيه من التخبُّط في الفتيا، ومخالفة النصوص الصريحة، وتجروء أهل الأهواء على مخالفة نصوص الوحيين، وإصدار الفتاوى التي تسير أهوائهم، فنعوذ بالله من الهوى فإنه يهوي بصاحبه في ظلمات الجهل والغواية، ويبعده عن طريق الهداية.

فيتبين للمسلم أن للفتوى ضوابط وشروط لا بد أن يتصف بها المفتي ونوجزها فيما يلي:

١- تقوى الله عز وجل فإنها مانعة للإنسان من التقول على الله بغير علم، وواقية له من التجروء على الفتوى، ولذلك خير القرون من أصحاب نبينا محمد ﷺ كانوا يتدافعون الفتوى، وأما اليوم فكم من المتصدِّرين من يظهر عبر وسائل

(١) تلبس إبليس ج ١ ص ١٩٥ .

الإعلام المختلفة يُضِلُّ فتاماً من المسلمين، بلا تقوى لله عز وجل، يقول صاحب مختصر خلافيات البيهقي: «واليوم تجد جماعة من البشر لا خلاق لهم يتعرضون لعلماء المسلمين ودعاتهم بالذم، ويسعرون نار البغضاء في قلوب الغافلين من المسلمين لعلمائهم ودعاتهم؛ ليحققوا مآربهم الدنيوية في إثبات أنفسهم، وإظهارهم بمظهر العلم ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨] فهؤلاء حسابه عند الله عسير»^(١).

٢- العلم فلا يحل لمن ليس لديه باع في العلوم الشرعية أن يخوض غمارها؛ فإنَّ من خاض لجج البحار غير عالم بالغوص والمقدار، يوشك أن يكون في شرف الهاوية فيحصل له الغرق والإنهيار، فالعلم نورٌ يضعه الله حيث شاء من عباده.

وإنَّ المعبر منه ما يورث خشية الله العظيم، ويبقى صاحبه

(١) مختصر خلافيات البيهقي ج ٥ ص ٢١٩

من مشابهة أصحاب الجحيم، روى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قال: «كان مجلس عمر مغتصا من القراء شباباً كانوا أو كهولاً فربما استشارهم فيقول لا يمنع أحداً منكم حداثة سنه أن يشير برأيه فإن العلم ليس على حداثة السن ولا قدمه ولكن الله يضعه حيث شاء»^(١).

وروى الدارمي قال: أخبرنا عبد الله بن سعيد أنبأنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن محمد بن أبي عبيدة بن حذيفة قال: قال حذيفة: «إنما يفتي الناس أحدٌ ثلاثة رجلٌ علم ناسخ القرآن من منسوخة قالوا: ومن ذلك قال عمر بن الخطاب، قال: وأميرٌ لا يخاف أو أحمقٌ متكلفٌ ثم قال محمد: فلست بواحدٍ من هذين وأرجو أن لا أكون الثالث»^(٢)

(١) الجامع لمعمر الأزدي ج ١١ ص ٤٤٠

(٢) سنن الدارمي ١ / ٧٣ .

المبحث الرابع: الفتوى بالتقليد

كثيرٌ من الناس في هذه الأيام يستصعب أن يقول فيما لا يعلم، أنه لا يعلم فتجده يتصدر المجالس وهو من صغار طلاب العلم، فتأتيه الاستفتاءات ولا يتورع فيها، مع أن لأهل العلم الأوائل كلام فيمن يخوض الفتوى بالتقليد، ويتصدر الفتيا وهو بذلك مقلد.

فقد ذكر هذه المسألة ابن القيم رحمه الله فقال «فيها ثلاثة أقوال لأصحاب أحمد:

أحدها: أنه لا يجوز الفتوى بالتقليد لأنه ليس بعلم والفتوى بغير علم حرام ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم وهذا قول أكثر الأصحاب وقول جمهور الشافعية.

والثاني: أن ذلك يجوز فيما يتعلق بنفسه فيجوز له أن يقلد غيره من العلماء إذا كانت الفتوى لنفسه ولا يجوز أن يقلد العالم فيما يفتي به غيره وهذا قول بن بطة وغيره من أصحابنا

قال القاضي ذكر بن بطة في مكاتباته إلى البرمكي لا يجوز له أن يفتي بها سمع من يفتي وإنما يجوز أن يقلد لنفسه فأما أن يتقلد لغيره ويفتي به فلا.

والقول الثالث: أنه يجوز ذلك عند الحاجة وعدم العالم المجتهد وهو أصح الأقوال وعليه العمل قال القاضي ذكر أبو حفص في تعاليقه قال سمعت أبا علي الحسن بن عبد الله النجاد يقول سمعت أبا الحسين بن بشران يقول ما أعيب على رجل يحفظ عن أحمد خمس مسائل استند إلى بعض سوارى المسجد يفتي بها^(١).

فالإنسان المقلد ضعيف الأفق قليل الفقه ليس له باع في الكتاب والسنة، عظيم البطنة، فاقد الفطنة، ليس له حق أن يفتي لأهل الملة فإن ذلك مدعاة للشر والفتنة. والكلام في التقليد يطول، ونكتفي بما ذكر والله المستعان.

(١) إعلام الموقعين ج ١/ ص ٤٥-٤٦.

المبحث الخامس : تحريم الإفتاء في دين الله والقول على الله بغير علم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ أُولِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول سبحانه
وتعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال ابن الجوزي في هذه الآية: عام في تحريم القول في
الدين من غير يقين.^(١)

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا
وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠].

والتجروء على الله بالفتيا، والقول على الله بغير علم ولا
بصيرة، إنما هو من الوسواس الإبلسية، والنزغات الشيطانية،
كما نصَّ الله على ذلك في محكم التنزيل فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا

(١) زاد المسير لابن الجوزي.

يَأْمُرْكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٦٩﴾.

قال الحافظ بن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:
 (أي إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة وأغلظ
 منها الفاحشة كالزنا ونحوه وأغلظ من ذلك وهو القول على
 الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضاً^(١).
 ومن الأحاديث النبوية التي تحذر من مغية القول على الله
 بغير علم، وأنه ضلال، وإضلال ما رواه الإمام البخاري في
 صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
 عنهما: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض
 العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض
 العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا
 فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٢).
 ومن ذلك ما ورد من النصوص التي تحذر من الكذب

(١) تفسير ابن كثير ج ١/ ص ٢٠٥

(٢) صحيح البخاري ج ١/ ص ٥٠

على الله ورسوله، فإن من يتكلم بغير علم فهو يكذب على الله ورسوله فمدار الفتوى على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ومن تلکم النصوص ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن منصور عن ربعي بن حراش أنه سمع علياً رضي الله عنه يخطب قال قال: رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار»^(١)، وروى مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

ومن الأدلة القاطعة في تحريم القول على الله بغير علم ما رواه أبو داود بسنده عن عطاء عن جابر رضي الله عنه قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشججه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ

(١) صحيح مسلم ج ١ / ص ٩

(٢) صحيح مسلم ج ١ / ص ١٠

لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»^(١).

فهذا الحديث النبوي، أثبت ضرر من الأضرار الحسية على القول على الله بغير علم، وبين حرمة الفتوى بغير علم، فقد دعا النبي ﷺ على من تجرأوا وقال: قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال.

ومما قاله فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله في مسألة القول على الله بغير علم:

أيها الناس أيها المؤمنون أيها العقلاء إن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري عن حكم الله فيه أو يقول عن الشيء إنه حرام وهو لا يدري أن الله حرمه أو يقول عن الشيء إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه أو يقول عن الشيء إنه ليس بواجب وهو لا يدري عن حكم الله فيه إن هذا لجناية كبيرة وسوء أدب مع الله عز

(١) سنن أبي داود ج ١ / ص ٩٣

وجل وتقدم بين يدي الله ورسوله كيف تعلم أيها الإنسان العاقل فضلاً عن الإنسان المؤمن أن الأمر لله وأن الحكم إليه ثم تتقدم بين يديه ثم تقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم أنه من دينه وشريعته أيها المسلمون لا تتهاونوا بالأمر لقد قرن الله تعالى القول عليه بلا علم بالشرك به فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أيها الناس إن بعض العامة أو طلبة العلم الذين لم يصلوا إلى حدٍ يميزون فيه بين الصحيح والضعيف يفتي نفسه أو يفتي غيره بما لا يعلم أنه من شريعة الله عز وجل يقول هذا حلال أو هذا حرام أو هذا واجب وهو لا يدري عن ذلك أفلا يعلم هذا أن الله تعالى سائله يوم القيامة عما قال أفلا يعلم أن الشرع كله لله عز وجل فليس لنا أن نتقدم في عباده بشيء من شريعته إلا ونحن نعلم أو يغلب على ظننا بحسب الأدلة الشرعية أن هذا هو شرع الله أفلا يعلم المفتي بغير

علم أنه إذا أضل شخصاً فقد باء بإثمته وإثم من تبعه إلى يوم القيامة وإن بعض العامة إذا رأى شخصاً يريد أن يستفتي عالماً يقول له هذا العامي لا حاجة لا تستفتي هذا واضح هذا حرام مع أنه في الشرع حلال فيحرمه مما أحل الله له أو يقول العامي لمن أراد أن يستفتي هذا واجب مع أنه في الشرع غير واجب فيلزمه بما لم يلزمه الله به أو يقول العامي هذا حلال مع أنه في الشرع حرام فيوقعه في ما حرم الله عليه أو يقول هذا غير واجب مع أنه في الشرع واجب فيحرمه من فعل ما أوجب الله عليه وهذا أيها المسلمون هذا جناية والله على شريعة الله وهذا ظلم لنفسه وهذا خيانة لأخيه حيث غره بدون علم رأيتم وفكروا لما أقول الآن رأيتم لو أحداً سئل عن طريق بلدٍ من البلدان فقال الطريق من هاهنا وهو لا يعلم أفلا يعد ذلك جرأة أفلا يعد ذلك خيانة أفلا يعد ذلك تغريراً هذا مع أن واضح الطريق بشر والبلد من متاع الدنيا فكيف بمن تكلم بما لا يعلم في شريعة الله التي شرعها الله لعباده لتوصلهم إلى رضوانه ودار كرامته أيها المسلمون

وإن خطأ آخر يكون من بعض العامة يقولون عن أهل العلم كلاماً أو ينقلون عنهم فتوى نعلم أنهم لا يقولون بذلك القول ولا يفتون بتلك الفتوى لكن هؤلاء الناقلين وهموا في النقل أو كذبوا وهموا في النقل إما لكونهم فهموا كلامهم أي كلام هؤلاء العلماء على غير مرادهم أو أنهم أساءوا التعبير في سؤالهم فأجابهم العالم بحسب ما فهم من سؤالهم فحصل الخطأ وربما كانوا كاذبين لأن لهم قصداً سيئاً فيما ينقلون من ذلك يريدون بهذا تشويه سمعة العالم أو التنفير منه أو يريدون أن يصلوا إلى مطلوبٍ لهم فيتوجهوا بقول هذا العالم الذي كذبوا عليه ليكون درءاً عن لومهم وعن توبيخهم فيقول فعلت كذا لأن فلاناً من العلماء أفتاني بجوازه يتوجه إلى الناس بجاه هذا العالم ليطرد عن نفسه اللوم والتوبيخ ولكنه كاذبٌ في هذا وإن هذا من أعظم الجنايات على الخلق لأن التنفير عن أهل العلم ليس تنفيراً عن أشخاصهم بل هو تنفيرٌ متضمنٌ للتنفير عما يقولونه من الحق وإن الكذب على العلماء ليس كذباً على العالم شخصه ولكنه كذبٌ على الناس

يغترون فيظنون أن هذا من شريعة الله لأنهم يثقون بقول هذا العالم المنسوب إليه القول الكذب أو الخطأ فيحصل بذلك خطأ في الشريعة وفي العبادة وتبقى العبادة ألعوبة بين هؤلاء المجرمين الذين ينقلون عن العلماء ما لا يقولونه فليحذر الإنسان من التقول على أهل العلم وليتحرى الدقة والصحة فيما ينقل عنهم^(١).

إذا القول على الله بغير علم من الأمور المحرمة وقد قرن الله النهي عنها بالشرك الذي هو من أعظم الظلم، وذلك يدل على شدة الحرمة ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد كان الأتقياء من العلماء يتورعون عن الفتيا، وقد سئل الإمام الشنقيطي رحمه الله^(٢) (صاحب الأضواء) فقال:

(١) موقع الشيخ العثيمين الإلكتروني.

(٢) هو صاحب الفصيلة وعلم الأعلام الشيخ الجليل الإمام الهمام، زكي النفس، رفيع المقام، كريم السجايا، ذو الخلق الرزين، عفا المقال، حميد الحصال، التقي الأمين محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد

إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي عَافِيَةٍ مَا لَمْ يُبْتَلْ وَالسُّؤَالُ ابْتِلَاءٌ، لِأَنَّكَ
تَقُولُ عَنِ اللَّهِ وَلَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا. فَمَا لَمْ يَكُنْ
عَلَيْهِ نَصٌّ قَاطِعٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَبَ
التَّحْفُظُ فِيهِ.

وَيَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَقُلْ بِهِ

وَلَا تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ

الْقَادِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ نُوْحَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُخْتَارِ مِنْ
أَوْلَادِ الطَّالِبِ أَوْ بَكٍ وَهَذَا مِنْ أَوْلَادِ كَرِيرِ بْنِ الْمُوَافِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ
بْنِ جَاكِنِ الْأَبْرِيِّ، جَدُّ الْقَبِيلَةِ الْكَبِيرَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْجُكْنِيِّينَ،
وَيَرْجِعُ نَسَبُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ إِلَى حَمِيرٍ، تُؤْفَى ضُحَى يَوْمِ الْحَمِيسِ
١٧/١٢/٩٣ هـ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ مَرْجِعُهُ مِنَ الْحُجَّجِ، وَدُفِنَ
بِمَقْبَرَةِ الْمُعْلَاةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ سَمَاحَةُ رَئِيسِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ آنَ ذَاكَ
الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ فِي الْحَرَمِ الْمُكَيِّ، مَعَ مَنْ حَضَرَ مِنَ
المُسْلِمِينَ بَعْدَ صَلَاةِ الطُّهْرِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. بتصرف من ترجمة للشيخ
بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم رحمة الله على الجميع. أضواء البيان
ج ٩ / ص ٤٧٩.

فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَّصِدًّا

وَيَكْرَهُ لَا أَذْرِي أُصِيبَتْ مُقَاتِلُهُ^(١)

حذار الحذار من الجرأة على المحرمات، ومن التعدي
وإغضاب رب البريات، نسأله سبحانه السلامة من هذه
الموبقات.

(١) أضواء البيان ٩ / ٥٠٤ .

المبحث السادس: من آثار القول على الله بغير علم على المجتمع

إن لهذه الآفة فتن وأضرار، على مر الأزمان، فهي عظيمة من العظائم، وموبقة من أكبر البوائق، ومفسدة من أشنع المفسدات، فكم جرت على الأمة من ويلات، وفتن، وحروب، وانقسامات، ولا غرو في ذلك فمتى ابتعد المسلمون عن مصدر عزهم، وأصلهم الرباني، تقاذفتهم أمواج الشبهات، فأبعدتهم عن شاطئ الأمان، وسارت بهم إلى الهاوية، وهل خرجت الخوارج إلا بسبب القول على الله بغير علم، وهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بسبب هذه الفرية، وكم حصل من جرائمها حروب، وتمزقت من أشلاء، وتفرقت الأمة إلى فرق وأحزابٍ بسبب البعد عن الوحيين، وانحرفت الأمة خلف الشبهات والبدع والمحدثات باسم التجديد، وأي تجديد في أمرٍ قد أتمه الله سبحانه!

فقال سبحانه: ﴿أَلْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا

نَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿ [المائدة: ٣].

ولعلي أن أذكر جزءا من كل، وقليل من كثير، مما جرت به
على الأمة هذه الآفة (القول على الله بغير علم) وما ستجرحه
على مر الدهور والأيام، فمن ذلك ما يلي:

١ - ظهور الخوارج قديماً وحديثاً:

فإن ذلك من آثار القول على الله بغير علم، فقد تعدى
بهم الأمر إلى تكفير خير الناس من الصحابة رضي الله عنهم فاستحلوا
الدماء، وعاثوا في الأرض فسادا، وقد قاتلهم أمير المؤمنين
علي رضي الله عنه في النهروان، وقد سار على نهجهم طوائف
في هذه الأزمان تصدروا قبل أن يعلموا، وتجروا بالقول على
الله بغير علم، واستهانوا بأهل العلم فضلوا وأضلوا، فنتج
عن القول على الله بغير علم خلل في التفكير، والذي أعقبه
سوء في التدبير، ثم تعدى الأمر إلى التكفير ثم التفجير،
نسأل الله أن يحسن العاقبة والمصير.

٢- كثرة البدع والمحدثات :

فإنها تظهر في هذا المساق، وفي هذا الإطار فهي استحسان شيء لم يشرعه الله، وتقول على الله بغير علم، فكم أحدث في الأمة من بدع، وكم نشأت من محدثات، وكلها مردودة على أصحابها كما في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام لأنه جمع وجوه المخالفة لأمره ﷺ يستوي في ذلك ما كان بدعة أو معصية، وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(١).

(١) الاعتصام ج ١ / ص ٦٨

٣- ظهور الفرق والجماعات:

والتي كلٌ منها تنسب الحق إلى نفسها، وتحارب الجماعة الأخرى، وابتعدوا في ذلك عن المعين الصافي، والهدي الرباني، كتاب الله وسنة رسوله، وصاروا كما قال الله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فكم ظهر في عصرنا من جماعات اتخذت لأربابها وأتباعها تأصيلات بعيدة عن ما في الوحي من تشريعات، وصاروا كما قال رب البريات ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

ولقد رأيت أناساً زين لهم الشيطان أعمالهم، فصددهم عن السبيل القويم والطريق المستقيم فلا يهتدون بكتاب ولا سنة، فهم كما قال ربنا ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

فمن جراء ما تمكن الهوى في قلوبهم وزين لهم إبليس الدخول في هذه الجماعات والتحزب بهذه الحزبيات؛ تجد من كان هذا حاله ينكر بعض السنن الظاهرة ويهزأ بها بحجة أنها من قشور الدين...

فنعوذ بالله من الضلال! وهل في دين الله قشور؟
فلا غرو أن يقوم أصحاب تلك الجماعات من التقول على الله بغير علم بحجج واهية، وتأويلات داحضة، من جراء التعصب الحزبي، والانتماء الحركي فوقعوا في شرك إبليس، وأكثروا من التدليس والتلبس، فباءوا بالتفليس وصدق فيهم قول العزيز الحكيم ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

المبحث السابع : من طرق علاج هذه الآفة

لكل داء دواء، ولكل مرضٍ علاج، وظاهرة الصدارة قبل التصدر، وهي القول على الله بغير علم، أو التجرؤ بالفتوى، ظاهرة خطيرة، تخلف ورائها الويلات، وتكثر حولها العقبات، وتنتشر الشهوات والشبهات، فلذلك لا بد من سلوك أقوم الطرق في علاج هذه الظاهرة، ولعلي أوجزها بما يلي:

١- أن يستحضر المسلم عظمة الله عز وجل ومراقبته في جميع شئون حياته، ومن ذلك احتقار الذات والرأي، لأن العلم نورٌ يقذفه الله في قلب العبد، وما أحسن ما ذكره ابن عابدين في حاشيته إذ يقول: إن أولى ما يستنزل به فيض الرحمة الإلهية في تحقيق الواقعات الشرعية طاعة الله عز وجل والتمسك بحبل التقوى قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ

اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومن اعتمد على رأيه وذهنه في استخراج دقائق الفقه وكنوزه وهو في المعاصي حقيق بإنزال الخذلان فقد اعتمد

على ما لا يعتمد عليه ﴿ وَمَنْ أَمَرَ بِجَعْلِ اللَّهِ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠] ^(١).

٢- أن يعلم المرء المسلم أن عليه رقيب وعتيد في كل ما يتلفظ به، فيحملة ذلك عن الكف والإمساك عما لا يعلم، قال تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

٣- نشر مكاتب متخصصة بالإفتاء، يكون فيها من أهل العلم المتخصصين، فلا يكون هناك مجال للمتصدرين المتعلمين.

٤- معاقبة من يتجرأ بالإفتاء بدون علم، فمن أمن العقوبة أساء الأدب.

٥- التوعية والإرشاد باحترام التخصصات، فلا يخوض الإنسان في علوم الشريعة، وهو واعظ أو شاعر أو طبيب، فرحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

٦- توعية الطالبين والسائلين أن لا يسأل في دينه أي أحد، وإنما لينظر من يأخذ عنه دينه ممن يتوسم فيه الخير والصلاح، وخشية العزيز العلام، بعيداً عن الأخطاء والأوهام.

(١) حاشية ابن عابدين ٥ / ٣٥٩.

المبحث الثامن : نماذج من أعلام العصر من ذوي الفُتيا والتُّقى والحِجَا

من الأمور التي ينبغي للمسلم الطالب للحق أن يعرفه أن لا يجعل دينه مجالاً للتجارب والنظريات، ولكن ليعلم ممن يأخذ دينه مع الحذر من المتعلمين الذين ابتعدوا عن المعين الصافي، والمصدر الشافي ممن اتخذوا دينهم هزوا ولعباً؛ فغرّتهم الشهرة، وخدعتهم الألقاب، وأصبح غاية همه كثرة الأتباع ولو كانوا من الهمج الرعاع.

ومما ترى من الثرّهات، وتعتريك الشبهات، غرور بعض الفئات بالشهادات ظانين بأنفسهم بلوغ الغايات، وما علموا أنّ مبلغ أمرهم هو الحصول على الدالات، وإن اختلفت الدالات، فحقيقة أكثرها مجرد شعارات نال بها شهادات، ولكنه لم يكسب بعلمه ما يرضي رب البريات فنسأل الله أن يعذنا من فتنة الأقوال والأعمال.

وحسبي أن أذكر بعض النماذج التي تعلوا بالنفوس إلى

أعلى المقامات وترتقي بها إلى أعظم الدرجات.
وسأذكر نماذج على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر،
وسأقتصر على بعض من كل، وغيض من فيض ممن ذاع
ذكرهم، وشاعت فعال الخير فيهم، وعرفوا بالورع والتقوى،
والتمسك بهدي خير الوري ﷺ وتميزت فتاواهم بنور الوحي
والهدى، لا بظلمات التعصب والهوى .
وإذا علمنا أنه لن تخلوا الأمة في كل قرونها من قائم لله
بحجة، فإن ما سيرد في هذا المقام إنما هو قطف لبعض
الثمرات، وذكر لبعض منارات العلم بدأً من القرن الخامس
عشر الهجري فأقول وبالله التوفيق:

النموذج الأول : سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز ابن عبد الله بن باز

عرّف الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - نفسه بقوله
(أنا عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله
آل باز ولدت بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ...
وأبوه عبد الله توفي سنة ١٣٣٣ هـ، وأمه: هيا بنت عثمان بن
عبدالله الخزيم، وقد ماتت سنة ١٣٥٦ هـ، وعن زواجه يقول
- رحمه الله - تزوجت ثلاث زوجات، أول زوجة في حياة
الوالدة - رحمه الله - وقد اخترتها بواسطة العارفين بها،
وذلك في عام ١٣٥٤ هـ، وكان عمري (٢٤) سنة، وهي ابنة
عبدالله بن الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - وبقيت حتى
عام ١٣٥٧ هـ بعد وفاة الوالدة - رحمه الله - بسنة فطلقتها.
ثم تزوجت امرأة أخرى تدعى هيا بنت عبدالرحمن ابن
عبدالله بن عتيق سنة ١٣٥٧ هـ، وهي أم أولادي الكبار:
عبدالله، وعبدالرحمن، وثلاث بنات.

أما الزوجة الثالثة فقد تزوجتها عام ١٣٨٦ هـ وتدعى منيرة بنت عبدالرحمن الخضير ولي منها ابنان: أحمد، وخالد، وثلاث بنات... أما عن قبيلته يقول الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله- إن أهلي وجماعتي أصلهم من الرياض، وطائفة منهم في الحوطة، وطائفة في الأحساء وطائفة في الحجاز، وكلهم يرجعون لنفس العائلة وهناك أناس يقال لهم: آل باز في الأردن، ومصر، وفي بلاد العجم لا نعرف عنهم شيئاً، ولكن بعضهم يدعي أنه من آل البيت وهم الموجودون في الأردن^(١).

وقد شرفني الله بحضور دروسه برفقة والدي الشيخ ياسين بن أحمد الشهاب رحمه الله^(٢) منذ أن كنت أدرس في

(١) باختصار من موقع مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية .

(٢) الوالد: ياسين بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صالح آل شهاب الحسيني الهاشمي، درس في بداية طلبه للعلم على الشيخ الحسيني في تعز، ثم درس في الرياض على الشيخ محمد بن سنان رحمه الله، والشيخ محمد بن ذاكر رحمه الله، وحضر دروس العلامة عبدالله الجبرين رحمه

المرحلة الابتدائية، وقد رأيت من علم الشيخ وورعه الشيء الكثير، والذي لا يمكن أن يحويه كتاب صغير، وغايتي هنا أن أذكر جملة من المواقف في ورع الشيخ وعلمه وارتباطه بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن ذلك :

- ١- قد سمعت شيخنا في أكثر من موقف في جامع الإمام تركي بن عبدالله وفي الدروس الصباحية، يسأل عن أمور وقضايا، فيتأني قليلاً ثم يقول: لا أدري، أو الله أعلم..
- ٢- وسمعت شيخنا كثيراً ما يحيل بعض المسائل إلى بعض طلابه النجباء للنظر والبحث فيها، ثم يسمع من الطالب نتيجة بحثه للمسألة، ويقرأها على الحاضرين.

الله، والشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، والشيخ العلامة عبد الرحمن آل فريان رحمه الله، كان له صولة وجولة مع أهل البدع والقبوريين في قرى القريشة التابعة لمحافظة تعز في اليمن، وقد تعرض للأذى من كثيرين منهم، وكانوا يلمزونه بالوهابي، ويقول: نعم أنا وهبت نفسي لله، وله مواقف كثيرة في محاربة عباد القبور، توفي في مدينة الرياض في التاسع من شهر ذي الحجة من العام السادس والعشرين بعد المائة والألف للهجرة النبوية الشريفة، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

٣- شيخنا رحمه الله دائم الارتباط بالدليل والأثر في كل كلمة ومحاضرة ودّرس، وهذا الأمر لا تكاد ترى عليه إلا القلّة من العلماء الأكابر، الذي لا تجد آرائه تصدر إلا وفق الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم يسير بفهمه للنصوص على ما سار عليه السلف الأوائل.

والمواقف في ورع الشيخ، وتأنيه في الفتيا، وارتباطه بالدليل مشهورة مسطورة وفي الكتب منثورة، وحسبي ما ذكرت، وما عنيت هنا إلا بذكر شيخنا العلامة ابن باز أنموذجاً في هذا العصر يحتذي بحذوه كثيرٌ من طلبة العلم، ويستنير بطريقته المفتونون بالقنوات والفضائيات، ويستضيء بمنهجه من يجري وراء الشهرة والصدارة، ومن يستحق أن يوضع في قاموس الجهالة، ممن لا تجد في فتواه ارتباطاً بالدليل، ولا ترى في أجوبته كلمة لا أدري فيسلك بمن حوله مسالك الغواية، وما أحرى من كان حاله بالأبيات التي ذكرتها في مبحث سابق والتي كان يتمثل بها الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله وهي :

إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَقُلْ بِهِ وَلَا تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ
فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَّصِدًّا وَيَكْرَهُ لَا أُدْرِي أُصِيبَتْ مُقَاتِلُهُ

توفي شيخنا بعد حياة حافلة بالخير والعطا وخدمة الإسلام
والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان موته ليلة
الخميس قبل الفجر من يوم ٢٧ / ١ / ١٤٢٠ هـ - وصلي عليه
بعد صلاة الجمعة في المسجد الحرام، وكانت جنازة عظيمة
مشهودة، كما صلي عليه داخل المملكة وخارجها صلاة
الغائب، فرحم الله شيخنا عبدالعزيز بن باز رحمة الأبرار،
وأسكنه فسيح الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين الأخيار.

النموذج الثاني: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسر،
الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبدالرحمن
آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.
ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك
عام ١٣٤٧ هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم - في المملكة
العربية السعودية.

نشأته العلمية:

ألحقه والده - رحمه الله تعالى - ليتعلم القرآن الكريم عند
جدّه من جهة أمه المعلّم عبدالرحمن بن سليمان الدامغ
- رحمه الله - ثمّ تعلّم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص
الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ
- حفظه الله - وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلّم علي بن
عبدالله الشحيتان - رحمه الله - حيث حفظ القرآن الكريم

عنده عن ظهر قلب ولما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده -رحمه الله- أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - يدرّس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتّب اثنين من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع -رحمه الله- حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله،

وطريقة تدريسه، وأتباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله - قاضياً في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّساً في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ.

ولقد انتفع - خلال السنتين اللتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي - بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدث عبدالرحمن الإفريقي - رحمهم الله تعالى -.

وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز - رحمه الله -، فقرأ عليه في المسجد من

صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يدرُس على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجاة وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالباً في حلّقه، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ولمّا تخرّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرّساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - فتولّى بعده إمامة الجامع

الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة
عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه
-رحمه الله- عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة
الشيخ -رحمه الله- يدرّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع
إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا
يلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة
تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إمامًا
وخطيبًا ومدرّسًا، حتى وفاته -رحمه الله تعالى-.

بقي الشيخ مدرّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى
عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة
وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته -رحمه الله تعالى- .
وكان يدرّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم
الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى
وفاته -رحمه الله تعالى-.

وللشيخ -رحمه الله- أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقى الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجاً بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس.

تُوفي -رحمه الله- في مدينة جدة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.

وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صُلي عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية. رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومنَّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيراً^(١).

(١) باختصار من موقع الشيخ رحمه الله .

وقد حضرت بعض دروس الشيخ ولقاءاته والتي يتضح منها للجسم الغفير من العلماء وطلبة العلم بما تميز به فضيلته من الورع والتقوى والارتباط بالدليل علماً وعملاً ومنهجاً وسلوكاً.

النموذج الثالث: الشيخ العلامة صالح بن فوزان آل فوزان

نسبه :

هو فضيلة شيخنا الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبدالله، من آل فوزان من أهل الشماسية، الوداعين من قبيلة الدواسر.

نشأته ودراسته :

ولد عام ١٣٥٤هـ، وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته، وتعلم القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام مسجد البلد، وكان قارئاً متقناً وهو فضيلة الشيخ: حمود بن سليمان التلال، الذي تولى القضاء أخيراً في بلدة ضرية في منطقة القصيم.

ثم التحق بالمدرسة النظامية حين افتتاحها في الشماسية عام ١٣٦٩هـ، وأكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام ١٣٧١هـ، وتعين مدرسا في الابتدائي، ثم التحق

بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحه عام ١٣٧٣هـ، وتخرج منه عام ١٣٧٧هـ، والتحق بكلية الشريعة بالرياض، وتخرج منها عام ١٣٨١هـ، ثم نال درجة الماجستير في الفقه، ثم درجة الدكتوراه من هذه الكلية في تخصص الفقه أيضاً.

أعماله الوظيفية :

بعد تخرجه من كلية الشريعة عين مدرسا في المعهد العلمي في الرياض، ثم نقل للتدريس في كلية الشريعة، ثم نقل للتدريس في الدراسات العليا بكلية أصول الدين، ثم في المعهد العالي للقضاء، ثم عين مديرا للمعهد العالي للقضاء، ثم عاد للتدريس فيه بعد انتهاء مدة الإدارة، ثم نقل عضوا في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية، ولا يزال على رأس العمل.

من أبرز مشايخه :

تتلمذ فضيلة الشيخ على أيدي عدد من العلماء والفقهاء البارزين ومن أشهرهم :

سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -

- وساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -
 - وساحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله -
 - وفضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله -
 - وفضيلة الشيخ صالح السكيتي - رحمه الله -
 - وفضيلة الشيخ صالح البليهي - رحمه الله -
 - وفضيلة الشيخ محمد السبيل - حفظه الله -
 - وفضيلة الشيخ عبدالله بن صالح الخليلي - رحمه الله -
 - وفضيلة الشيخ صالح العلي الناصر - رحمه الله -
- وأكثر مشايخه تأثيراً عليه بعلمه وسمته سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله^(١).

مواقفه في الفتيا:

إن مما يهمني في هذا المقام أن أذكر ما يخص أمر الفتيا وذلك بما يلي:

- أولاً: ارتباط الشيخ بالدليل من الكتاب والسنة.
- ثانياً: ارتباط شيخنا بمنهج السلف الصالح .

(١) نقلتها من مصادر مسموعة ومقروءة مع بعض التصرف .

ثالثاً: اشتهر برده على المخالفين والمتعلمين ممن يخالف منهج سلف الأمة.

رابعاً: كثيراً ما أسمع في الدروس متأنياً في الإجابة وربما قال للسائل عن مسألة لا أدري، وقد سمعتها في الدروس مراراً، وهذا من الورع في الفتيا، لا كما يفعله بعض المتعلمين عبر القنوات ممن يفتي جهاراً نهاراً بمخالفة الدليل ومجانبة السبيل القويم.

هذه نماذج ثلاثة، وغيرها بحمد الله كثير ممن برز في نصره المنهج القويم - منهج السلف الصالح - ولست هنا بصدد سرد كثير من النماذج ولكن حسبي ما ذكرت من هؤلاء الأماجد، والعلماء الأكابر اللذين هم من درر العصر، وبقية السلف رحم الله من مات منهم، وحفظ الله من بقي وتمع به بالصحة والعافية.

المصادر والمراجع

- ١- أدب المفتي والمستفتي، عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر.
- ٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني الوفاة: ٥٨٧، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٢م، الطبعة الثانية.
- ٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ، صحيح البخاري.

- ٥- تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان - مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - ١٤٢٢هـ - الطبعة الأولى، تحقيق: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم.
- ٦- تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الوفاة: ٥٩٧هـ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - الطبعة الأولى، تحقيق: د. السيد الجميلي.
- ٧- تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- ٨- الجامع، اسم المؤلف: معمر بن راشد الأزدي الوفاة: ١٥١هـ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الأعظمي (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج ١٠).
- ٩- حاشية ابن عابدين
- ١٠- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح

- مختصر المزني، اسم المؤلف: علي بن محمد بن حبيب
الماوردي البصري الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت
- لبنان - ١٤١٩ هـ - الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ علي
محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود .
- ١١- الحطة في ذكر الصحاح الستة، اسم المؤلف: أبو الطيب
السيد صديق حسن القنوجي - دار الكتب التعليمية -
بيروت - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، الطبعة الأولى .
- ١٢- روضة الناظر وجنة المناظر، عبدالله بن أحمد بن قدامة
المقدسي أبو محمد - جامعة الإمام محمد بن سعود -
الرياض - ١٣٩٩ هـ - الطبعة الثانية، تحقيق: د. عبدالعزيز
عبد الرحمن السعيد.
- ١٣- زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد
الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ هـ، الطبعة
الثالثة.
- ١٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني
الأزدي، دار الفكر - تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

- ١٥- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمري، خالد السبع العلمي.
- ١٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - الاعتصام .
- ١٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٨- القواعد لابن رجب الحنبلي الوفاة: ٧٩٥، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة - ١٩٩٩م، الطبعة الثانية.
- ١٩- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله ابن محمد بن أبي شيبة الكوفي الوفاة: ٢٣٥، مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- ٢٠- مختصر خلافيات البيهقي، أحمد بن فرج اللخمي الإشبيلي الشافعي الوفاة: ٦٩٩هـ، مكتبة الرشد - السعودية -

الرياض - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة الأولى، تحقيق:

د. ذياب عبدالكريم ذياب عقل.

٢١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد

عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع

اللغة العربية.

المحتويات

٣	تقديم الشيخ الدكتور صالح بن غانم السدلان
٥	مقدمة.....
٨	المبحث الأول: تعريف الفتوى، وأهميتها
١١	المبحث الثاني: أصول الفتوى
١٦	المبحث الثالث: شروط الفتوى.....
٢٠	المبحث الرابع: الفتوى بالتقليد.....
	المبحث الخامس: تحريم الإفتاء في دين الله والقول على
٢٢	الله بغير علم.....
	المبحث السادس: من آثار القول على الله بغير علم
٣٢	على المجتمع
٣٧	المبحث السابع: من طرق علاج هذه الآفة.....
	المبحث الثامن: نماذج من أعلام العصر من ذوي القُتيا
٣٩	والتقى والحجا

النموذج الأول : سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز

ابن عبد الله بن باز..... ٤١

النموذج الثاني: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين..... ٤٦

النموذج الثالث: الشيخ العلامة صالح بن فوزان آل فوزان... ٥٣

المصادر والمراجع..... ٥٧

المحتويات..... ٦٢